التمهيد

أ- القيمة لغةً واصطلاحًا.

ب ـ الأخلاق لغة واصطلاحًا.

جـ ـ إلمامة سريعة عن القيم الخلقية فى الشعر الأندلسى قبل العصر المدروس.

القيمة لغة واصطلاحًا

وردت لفظة "قيمة" فى القرآن الكريم[١] وفى كتب التفسير[٢] ومعاجم اللغة[٣] وفى الشعر، بمعنى الاستقامة والطريق المستقيم.

واستعملت للخصال الحميدة المرشدة للناس المعبرّة عن المبادئ المتمسكة بروح الإسلام فى كلِّ المواقف الحياتيّة.

وفى الاستعمالات اللّغوية فى المجانسة (أن تشترك اللّفظتان على جهة الاستقاق)[٤]. فظهر أنهم تأثروا بألفاظ القرآن الكريم أيضا.

---

(١) وردت فى مجال العبادة الخالصة لله فى قوله تعالى ﴿ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ البينة: (٥).

(*)وردت فى مجال الأحكام والقضاء ﴿ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾. انظر: البينة: ٣. وانظر: الأنعام : ١٦١ ـ وردت فى وصف الإسلام بالطريق المستقيم فى قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا ﴾.

(**)ابن الأبار البلنسى: درر السقط فى خبر السبط، ص ٥، تحقيق: الدكتور عبد السلام الهراس، الطبعة ومكانها بلا.

(٢) وفى الحديث: (قل آمنت بالله ثم استقم) فسر على وجهين، قيل هو الإستقامة على الطاعة وقيل ترك الشرك، انظر: الأزهرى (٣٧٠هـ) معجم تهذيب اللغة: مادة قوم. وصحيح مسلم: م١، ص ٢١٣، تحقيق وإشراف عبد الله أحمد، أبو زينة، ط، الشعب.

(٣) قال رَسُولُ الله ﷺ (أى المؤمنين أفضل قالَ أَحْسَنَهُم خُلقًا) أخرجه ابن ماجة وأحمد بن حنبل، أنظر: المعجم المفهرسَ لألفاظ الحديث النبوى: د. أ. بى ونسنك أستاذ العربية بجامعة ليد ن جـ ١، ص ١١٧، دار الدعوة ١٩٨٦..

(٤) قال تعالى ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ ﴾، الروم ٤٣. انظر: أبا بكر محمد بن الطيب الباقلانى، اعجاز القرآن، ص ٨٣، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، القاهرة، ١٩٦٣. والاصبهانى، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، م٢ جـ٤ ص ١٦٦، دار الكتاب العربى، بيروت، لبنان ط ٣، ١٩٨٠م..

وقد وردت هذه المادة فى عدّة معانى "قامَ قَومًا وَقِيامًا"[١] لتعنى صفة الشىء الذى تجعله موضع تقدير[٢]. ومنها القيام وهو نقيض الجلوس، وبمعنى آخر هو العزم[٣]، والمحافظة، والإصلاح.

والقِيمةُ بالكسرِ واحدة القِيم وَمَاله قيمة إذا لم يدم على شىء[٤] وقيمة الشىء ثمنه[٥]، وَقَوَّمَ السلعة واستقامتَها، قدْرها وثّمنها، قالوا: يارسول الله: لَوْ قَوَّمتَ لنا فقَال: اللهُ هُوَ المقّوم.

وكتب قيمة ذات قيمة أى مستقيمة تُبَيّنّ الحق من الباطل على إستواء وبُرْهان[٦]. والقوام: العدل وما يقاس به[٧]. والقيّم حامل القيمة، وهو السيد وسائس الأمر أو هو بعل المرأة والمسؤول[*] عن شؤونها[٨] وترادفت لفظة القيم بالمثل ومن ذلك يقال أيضا فلان أمثل من فلان أى أفضل منه وأماثل الناس خيارهم[٩]. كما قال ابن وهبون المرسى وأراد بالمُثُل القِيمّ:-

لَمْ يَقْصدْ الدهرُ إصلاحى وَلِي مثلُ فى الغصْنِ تَذْهبُ عَنْهُ صورةُ الغَيدِ[١٠]

---

(١) المعجم الوسيط، مادة (قوم).

(٢) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، جـ ٥ ص ٢٠١٦ وجـ ٢ ص ٢٠١٨، تحقيق: أحمد عبد الغفور، بيروت، ط ٢، ١٩٨٤ .

(٣) الجن: ١٩ بسم الله الرحمن الرحيم "وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبدُ الله يَدْعُوهُ" أى لمّا عزم.

(٤) انظر: القاموس المحيط، مادة قوم.

(٥) جمال الدين بن منظور، لسان العرب، مادة قوم، ص ٥٠٠، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ١٩٥٦م، وانظر: المعجم الوسيط (قَوَمَ).

(٦) لسان العرب، جـ١١، ٦٦٣ (مادة قيمة)..

(٧) مجد الدين الفيروز آبادى، القاموس المحيط مادة (قوم)، مؤسسة فن الطباعة مصر.

(٨) المعجم الوسيط، (القوم) ومحمد أعلى بن على التهانوى، كشاف اصطلاحات الفنون، ص ٢١٠، ٢١٦، ٢١٧، مطبعة خياط، بيروت، ١٩٦٦م.

(*) النساء: ٣٤، قال "الرِّجَالُ قوامونَ عَلَى ٱلنِّسَاءِ.

(٩) لسان العرب، جـ ١١، ص ٦٦٣، ط بيروت، ١٩٥٦.

(١٠) سمر صبحى أحمد، شعر ابن وهبون العرسى، دراسة وتحقيق، ص ٤٥، رسالة ماجستير مضروبة على الآلة الكاتبة، جامعة الموصل، بإشراف د. منجد مصطفى بهجت، ١٩٨٩م.

وحقق قصده ابن زيدون قائلا[1]:

سَعْيُـهُ فـى كُـلِّ بِـرٍّ مَثَـلُ إذ مَسَاعِـى من يُنَاوِيـهِ مَثَلْ

والقيم عند ابن بسام (ت ٥٤٢هـ) (بحسب الإنسان وعلى قدر تصرُّف اليد واللّسان، وأن أَحظىَ ما قرعَ بهِ بابك أو رُفعَ له حجابكَ، رقعةٌ تشيرُ بها إلى علم وأدب) [2]، وهذا يعنى إنَّ القيم وليدةُ هذا الواقع ويمكن للجميع ملاحظتها[3] لذا فإن تعزيز القيم الإيجابية المستمدة من المنابع الأصيلة المتمثلة بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة السلف الصالح وتراث الأمة وثقافتها العربية الإسلاميّة.

أما الدلالة الاصطلاحية:

فهى تمثل مجموعة أحكام تتفق عليها الإيرادات وتحتل مكانة مركزية فى الحياة مرتبطة بذاتها فيمكن القول بأن القيمة اتجاه مع، أو ضد حدث أو ظاهرة (ندركها بنوع من الوجدان أو العاطفة التى تستشعر منها القيم التى يدركها الجاهل والمثقف)[4]، وعليه فان مفهوم القيمة يعنى طريقة فى الوجود أو فى السلوك يعترف بها شخص أو جماعة على أنها مثال يحتذا[5]. وهى الصفة التى تجعل من الشىء أمرا مرغوبا فيه ومطلوبا فى المجتمع[6]. وإنها مسألة ذاَتيّه فرديّة وارادية تتلاءم مع العقل

---

(١) الديوان، ص ٣٤٠، شرح على عبد العظيم، ط، ١٩٥٥.

(*) مَثلُ أمثال مضروب للقدوة والاحتذاء، مثل الثانية (جمع ماثل مِثل خادم وخدم) والماثل هو اللاحق بالأرض والمعنى أن فعال الأمير أصبحت مثالا للاقتداء فى السمو والجلال.

(٢) أبو الحسن على بن بسام الشنتوينى، الذهيرة فى محاسن أهل الجزيرة، م ١ ق ٢ ص ٣٠٨، تحقيق: الدكتور أحسان عباس، الدار العربية للكتاب ليبيا تونس ط ١٩٨١.

(٣) د وفيتو جان دوركيم ترجمة مسعود الخونو، سليم مكسور، ص ١١٨ ـ ١٢٠، بيروت، ١٩٧٨م.

(٤) الدكتور عبد الرحمن بدوى، الأخلاق النظرية، ص ٩٢، وكالة المطبوعات ٢٧، الكويت، ط ١، ١٩٧٥م.

(٥) روشيه غى، مدخل إلى علم الآجتماع العام، ص ٩٣، بيروت، ط ١٩٨٣.

(٦) جميل صليبا، المعجم الفلسفى، جـ ٢، ص ٢١٢، ط بيروت، ١٩٨٣.

وتوافقه، فالمعيار هو العقل والقيم خاضعة له لأن القيمة تحدد بناء هذا المعيار[١]، فقيمة كل امرئ ما يحسنِه[٢]، ويقدر بأخلاقه وأعماله.

والقيمة تفرض سلوك الإنسان، والسلوك يكشف عن قيمة[٣]، وقد حاولت مدرسة القيم تفسير السلوك الأنسانى فى ضوء القيمة للأستاذ بّير (peper) وعنوانه (نظرية القيمّة). وفى هذا يقول ابن حصن الأشبيلى[٤]:-

أَقامَّ قَناةَ الدينِ واقتعــدَ العُــلا وَشدَّ عُرى الإسلام وإخترم الشركا

يختلف مفهوم القيم من فترة زمنية إلى أُخرى[٥] فهو لا يدوم على سياق ثابت حتى فى ظلِّ المدّة الزمنيّة المحددة؛ لان القيم مقاييس إجتماعية خُلقيّة تُقدرها الحضارة التى ينتمى اليها أفراد المجتمع وفقًا لتقاليده واحتياجاته وأهدافه فى الحياة.

الأخلاق لغةً وإصطلاحًا:-

الأخلاق فى اللّغة جمع خُلُق وخُلْق تستعمل للدلالة على قواعد السلوك[٦].

والخلق (الطبيعةُ وجمعها أخلاق، والخلقُ السجيّة وقال الخلق هو الدين والطبع والسجيّة)[٧].

---

(١) الدكتور عادل العّول: القيم الأخلاقية، ص ١٨٢، جامعة دمشق، ١٩٦٠.

(٢) انظر: محمد أحمد جاد المولى، الخلق الكامل، جـ ١، ص ٣، ط٢، ١٩٦٥م، مطبعة محمد على صبيح واولاده، وانظر: ط١، ١٩٣٢م، مطبعة مجازى.

(٣) الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى، مدرسة القيم أحدث مدارس علم النفس، مجدلة العربى، ص ٦٣، ع ٥٣ لسنة ١٩٦٣.

(٤) الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة: م ١، ق ٢، ص ١٦٧.

(٥) الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى، مدرسة القيّم أحدث مدارس علم النفس، مجلة العربى، عدد ٥٣ لسنة ١٩٥٩.

وانظر: لويس مير، مقدمة فى الانثريولوجيا الاجتماعية، ص ٨٨، ترجمة: شاكر مصطفى، بغداد، ١٩٨٣

(٦) معانى المادة كثيرة لا تخرج عن الأصل الأول لها، انظر: مادة (خلق) للسيد محمد مرتضى الزبيدى، تاج العروس، جـ ٦، ص ٣٣٥-٣٣٨، الطبعة القديمة غير مسجل عليها أية معلومات عن الطبع.

(٧) لسان العرب، م ١٠، ص ٨٦، باب القاف.

يقال رجل مختلف أى حسن الخلقة، ويقال رجل له خلق حسن وخليقة وامرأة خليفة. أى ذات خلق وجسم[١]. ويطلق على (الجِبلةِ التى خُلق الأَنسان عليها[٢] ومجموعة الإستعدادات الفطرية التى تؤلف الهيكل النفسى للإنسان[٣]. والطبيعة (وما يتمّز به الإنسان من صفات فطرية)[٤]. ولما كانت الأخلاق هى مجموع قواعد السلوك فانها بذلك تطلق على (جميع الأفعال الصادرة عن النفس)[٥] محمودة كانت أو مذمومة، وإذا أطلق على الأفعال المحمودة فقط. دل على الأدب لأن الأدب لا يطلق إلا على المحمود من الخصال[٦]. وتطلق أيضا على أسلوب[٧] المرء وطريقته فى الحياة.

أما الأخلاق فى الدلالة الاصطلاحيّة:

هو (حال للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال عن غير حاجة إلى فكرٍ ورؤية)[٨]. والخلق العظيم هو السلوك إلى ما يرضى الله عنه، قيل عن رسول الله ﷺ "ألا أخبرُكم بأحبكم إلىّ وأقربكم منى مجالس يوم القيامة أحسانكم أخلاقا[٩]" فعلم الأخلاق هو علم السلوك[١٠].

أنّ أوّل من وضع مذهبا أخلاقيًا هو أرسطو فى كتابه إلى نيقولا ويُعدّ من أفضل

---

(١) الزمخشرى، أساس البلاغة، جـ١، ص ٢٤٨، مطبعةدار الكتب المصرية، ط الثانية.

(٢) د. جميل صليبا، المعجم الفلسفى، جـ٢، ص ١١، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، ط١، ١٩٧١.

(٣) يوسف كرم، المعجم الفلسفى، ص ١٢٩، القاهرة، ط٢، ١٩٧١.

(٤) د. جميل صليبا، المعجم الفلسفى، جـ٢، ص ١٣.

(٥) أحمد أمين، الأخلاق، ص ٢٤، مطبعة لجنة التأليف والنشر، الطبعة السابعة، ١٩٥٧.

(٦) د. جميل صليبا، المعجم الفلسفى، جـ ١، ص ٤٨.

(٧) The Encyclopede of Philosophy, Vol. 3/ P. 18 arthies.

(٨) المعجم الوسيط، م ١، ص ٢٥٢، أ دره مجمع اللغة العربية، ١٩٦٠، وانظر: السيد الشريف الجرجانى، التعريفات، ص ١٠٦، د. ت م، د. ط .

(٩) انظر: صحيح البخارى، جـ ٢١، ص ١٨٤، وانظر: المغى نفسه فى المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى، جـ ١، ص ١١٢، دار الدعوة، ١٩٨٦.

(١٠) محمد على التهانوى، كشاف اصطلاحات الفنون، ص ٢٢٩-٢٣٠، تأليف لطفى عبد البديع، القاهرة، الهيئة اتلمصرية للتأليف والنشر، ١٩٦٩م.

الكتب التى ألفت فى هذا الموضوع، والفضيلة عنده هى (انطباق الفعل على القاعدة الأخلاقيّة)[١]. لقد حثت جميع الاديان السماوية على الأخلاق الفاضلة[٢]، واختلف العلماء فى فضائل الأخلاق فذهب بعضهم إلى ذواتها(*)[٣]. وذهب آخرون إلى أن المراد بها السعادة الحادثة عنها لأنها الغاية المقصودة بها. فهى وسيلة لتحقيق غاية بعيدة[٤]. فمن (حَسُنَ خلقه وجبَ حقّهُ)[٥]. فالدين كله (خلق فمن زاد عليك فى الخلق زاد عليه فى الدّين)[٦].

وقد فهم العربى الأخلاق بأنها الخصال المحمودة التى أُسهمت فى بناء قضيته المتميّزة واتفق الحكماء على إنَّ أجناس الفضائل أربعة هِىَ: (الحكمةُ، العفةُ، الشجاعةُ، العدالةُ) ولهذا لا يفتخر أحد ولا يتباهى إلاّ بهذه الفضائل[٧]. والمرؤة من المفاهيم الشائعة فى المجتمع الأندلسى واقتربت فى مضمونها من مفهوم القيم الأخلاقية العليا وتعنى مهارة فى القتال، وصبرا على الشدائد وتمسكا بالثأر وحماية الضعفاء وقد قيل (إن كان لك خلق فلك مروءة)[٨].

وجاءت مفاهيم الأخلاق مرادفة لمفاهيم الحلم عن سفاهة الجهلة، وكرم الطباع،

---

(١) الدكتور عبد الرحمن بدوى، الأخلاق النظرية، ١٩٧٥، الكويت.

(٢) انظر: التوراة، المزمور ٤٥ الآية ١، ٢، والتوراة الأمثال، الاصحاح ٣١، الآية (٨-٩) (فالاله قاضى عادل وإله يسخط كل يوم)، التوراة المزمور ١١ عدد ١١، وانظر: الانجيل، متى، الاصحاح الخامس الآية ٥، ٧، ١٠.

(*) ذواتها: يقصد غاية لذاتها.

(٣) د. ناجى عباس صالح، أصول الفلسفة الخلقية، المورد، مجلد ٥، عدد ٣، لسنة ١٩٧٦.

(٤) اسعد محمد بدوى، بحث أصول المذهب الاجتماعى فى دراسة الأخلاق ص ٧٣، مجلة كلية الاداب، جامعة الأسكندرية، م ١٣ لسنة ١٩٥٩، مطبعة جامعة الإسكندرية ١٩٥٩.

(٥) القيروانى، زهر الأداب، جـ ٤، ص ١٠٥٤.

(٦) المصدر نفسه، جـ ٤، ص ١٠٥٤.

(٧) لسان الدين بن الخطيب، روضة التعريف بالحب الشريف، ص ٤٤٦، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ط ١، ١٩٦٨، دار الفكر العربى، وانظر: ابن حزم، رسالة الأخلاق، ص ٧، المشرف المسئول محمد عبد الله السمّان، القاهرة، دار الثقافة العربية للطباعة.

(٨) ابن عبد ربه الأندلسى، العقد الفريد: ص ٢٤٧، تحقيق: أحمد أمين، القاهرة، ١٩٦٥.

والتواضع والحزم والأنفة، وعدل لا يميل به الهوى وحلم لا يبتعثه العجز وعز لا تشوبه الكبرياء:-

عَطَاءُ وَلاَ مَنٌّ، وَحُكْمُ وَلاَ هَـوَى وَحِلْمٌ وَلاَ عَجْزُ، وَعزٌ وَلاَ كِبْرُ[1]

قَدِ اسْتَوفَت النَّعْمَاءُ فِيكُمْ تَمَامُهَـا عُلَيْنَا، فَمِنّا الحَمْدُ للهِ وَالشُّكْـرُ

وهكذا وجدنا من خلال البحث فى مصطلح الأخلاق إنّ المجتمعَ لَهُ فلسفة خلقية اقتضاها نظام الحياة وأوجدها المجتمع. بَيْدَ أنه لَمْ يرد ذكر مدونات تشير إلى تدوينهم.

ولكل مجتمع سلوك يسير عليه وفق قانون يحكم به ومثل توضح معناه، خيرًا كان أم شرّا ذلك المصطلح هو الأخلاق.

---

(١) ديوان ابن زيدون، ص ٥٤٨.

إلمامة سريعة عن القيم الخلقية فى الشعر الأندلسى

ـ قبل العصر المدروس ـ

يبقى الشعر ديوان الأمّة وعنوان أدبها وبرهان أخلاقها وجامع تاريخها له (بين كل قوم مظهر وعند كلِّ قبيل منزع) [١]. يقول آرنولد (M. Arnol) الشعر الحقيقى الجيد هو: (نقد الحياة وفيه قوة أخلاقية تدافع عنها وتبهجنا) [٢] ولا يمكن (تفسير ظاهــرة من الظواهر أو حادثة من حوادث التاريخ دون مراجعة النصوص الشعرية) [٣]. أو من غير أن نعرف مناهج الحياة الإصلاحية والإجتماعية، والبيئة التى دعا إليها الشاعر، والمواءمة بين دعوته وبيئته.

وأىّ مجتمع لا يمكنك دراسته من غير أن تتعرض لمحاوراته، أو من غيرأن تدرس مثلة العليا وقيمه من خلال ما تفيده سيرهم من التأسى والإقتداء بهم فى قوّة الاحتمال والجَلَدْ والصبر والإخلاص.

---

(١) انظر: المقتطفه الدكتور يعقوب صرّوف والدكتور فارس نمر، جـ١م ٣٠، كانون الثانى ١٩٠٥، الموافق ٢٥ شوال سنة ١٣٢٢هـ، البحث لمحمد كرد على، أخلاق الشعراء، دمشق.

(٢) انظر: Mathew Arna Id. Essays in Griticiam G Londone New Yourk,: 1983s: + 11/PP. 135 .

(٣) انظر Lapoeys Ie And Alouse En Arabe Classique Nu Nislacle. P. 99.

(*) المذهب المالكى، مؤسسة أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحى، مؤسس المذهب المالكى ومؤلف الموطأ، انظر: ترجمته فى البخارى، التاريخ الكبير، جـ ٣/ ١ ص ٣١٠، وابن قتيبة المعارف، ص ٢٥٠-٢٩٠، ابن النديم، الفهرست ص ٩٨-١٩٩، ابن كثير، البداية والنهاية: ١٠، ص ١٧٤-١٧٥.

لقد اعتنق الأندلسيون الإسلام على المذهب المالكى(*) مطبقين مبادئه التى هى "القرآن الكريم، والحديث والسنة"(١).

ولمّا كان الناس على دين ملوكه فى العرف(*) والعادة فقد احتكر المذهب رجال القانون خلال عهد الطوائف ليصبح أكثر نشاطا وفعالية تحت ظل المرابطين فأميرهم(٢) (لم يكن يحظى عنده إلا من علمّ علم الفروع أى فروع مذهب مالك فدفعت فى ذلك الزمان كتب المذهب الذى برزت فيه طبقة الفقهاء تتبوأ مراكز الصدارة، فالشعراء الذين أدركوا العصر هم الشعراء الذين كانوا فى ظلال أمراء الأندلس(٣). وكان للشعر حظ كبير لدى الأمراء أنفسهم، فالكل شاعر عرف الشعر وارتجله وتغنى به(٤). مراعيًا فى نظامه وحدة أخلاقيّة الفرد والمجتمع ثم أخلاقية الحكم واصفًا نظامه التشريعى فى مختلف شؤون الحياة(٥). واجتمع فى بلاطهم من الكتّاب وفرسان البلاغة وأقطاب العلم ما لم يتفق اجتماعه فى عصر من العصور(٦).

بعد أن امتزجت العناصر وتوحدت الأجناس واختلط الدم مما نشأ منه جيل عربى جديد يجمع خصائص العرب والآربين الفكرية والاجتماعية والنفسية(٧).

---

(١) انظر: د.أ. محمد بن عبود، التاريخ السياسى والاجتماعى لإشبيلية فى عهد ملوك الطوائف، تقديم د. وليم مونتغد يرى، تطوان، ١٩٨٣، مطابع الشويخ، ص ١٧-١٨.

(*) العرف والعادة: ما استقر فى النفس وجهة (العقول وتلقته الطباع السليمة بالقبول)، انظر: مذهب مالك، جـ ١، ص ٣٥٣-٣٦٠.

(٢) الذخيرة، م ١، ق١، ص ١٤١، نقلا هن: شامش الرد على ابن التغريلة اليهودى ورسائل أخرى لأبن حزم الأندلسى، تحقيق: د. أحسان عباس جامعة الخرطوم، مكتبة دار العروبة، ١٩٦٠، مطبعة المدنى.

(٣) الدكتور حسن الوراكلى، ابن صارة الشنتوينى؛ حياته وشعره، مطبعة النور، تطوان، ١٩٨٦، الطبعة الأولى.

(٤) زغريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، ص ٥٠٢-٥٠٥، ٥٠٧، نقله عن الألمانية فاروق بيضون وكمال دسوقى، الطبعة الأولى ١٩٦٤، منشورات المكتب التجارى للطباعة.

(٥) أحمد الشرباصى، اخلاق القرآن، ص ٣٥١، مطبعة بغداد.

(٦) الدكتور محمد مجيد السعيد، ابن بقى حياته وشعره، ص ١٢٥، مجلة المورد، عدد ١، ١٩٧٨.

(٧) محمد عبد المنعم خفاجة، قصةالعرب فى الاندلس جـ ١، ص ٢٤-٢٥، ط بيروت ١٩٦٢. وأنظر: بطرس البستانى، ادباء العرب فى الأندلس عصر الانبعاث، ص ٣٩.

وقد أعطت لاختلاف أصولها وأديانها صفات خاصة به قلّ أن نجدها فى مجتمع آخر[١].

حيث كانوا (على سنن عظماء الملوك وأخلاق السادة)[٢] فأخذت عمقها فى نفوس القوم وحياتهم[٣].

ويؤكد ذلك الدكتور إحسان عباس بقوله (تُمثّل نوازل ابن رشد اتساعًا فى الزمان والمكان)[٤] وهى تفوز قيمهم لأنها (تتكلم عن العلاقات بين المسلمين واعدائهم فى السلم والحرب، والتعامل التجارى بينهم فى أوقات الهدنة وعن اقتداء الأسرى وعن أفضليّة الجهاد)[٥] فكلهم يبحثون عن الحق والخير[٦]. وبعضهم أخذ مهمة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واندفع إلى تحقيق رسالته كقريب على الأخلاق العامة[٧].

لقد وردت نصوص كثيرة تمثل التمسك بالقيم الخلقية ومكارم الأخلاق الإسلامية فى جمهرة أنساب[٨] العرب لأبن حزم الأندلسى المتوفى سنة (٤٥٦هـ)

---

(١) الدكتور صلاح خالص: اشبيلية فى القرن الخامس الهجرى، ص ٣٣، دراسة أدبية تاريخية لنشوء دولة بنى عباد فى إشبيلية، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

(٢) النفخ، جـ ٣، ص ٢٣٢.

(٣) فطوى ابن رشد، لابى الوليد محمد بن أحمد بن رشد المالكى (ت ٥٢٠هـ)، السفر الأول، ص ١٥٣ ، تحقيق وجمع وتعليق: د. المختار بن الطاهر التليلى، دار الغرب الإسلامى.

(٤) المصدر نفسه، السفر الأول، ص ٥١٨ ـ ٥٢٠.

(٥) المصدر نفسه، ص ٧٤.

(٦) الدكتور الأهوانى، مسائل ابن رشد، م ٤ جـ ١ ص ٦٩-٧٣، بحث فى مجلة معهد المخطوطات العربية.

(٧) انظر: محمد بن تومرت وحركة التجديد فى المغرب والاندلس، ص ١٥، ٣٧، د. سعد زغلول عبد الحميد، محاضرة القيت فى جامعة بيروت العربية بتاريخ ١٩٧٣، طبعت فى دار الامد البحيرى، أخوان بيروت.

(٨) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ١٣٦-١٨٢، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، طبعة القاهرة، ١٩٦٢.

وفى مطمع الأنفس[1] لفتح بن خاقان المتوفى سنة (٥٢٩هـ) وفى ذخيرة[2] ابن بسام المتوفى سنة (٥٤٢هـ)، وفى الحلل السندسية[3] فى الآثار المراكشية للمراكش المتوفى (٦٤٧هـ) وفى الأحاطة[4] فى اختبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب المتوفى (٧٧٦هـ) وفى نفح الطيب[5] للمقرى التلمسانى المتوفى (١٠٤١هـ)، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر نصا من المعجب يقول: (لقد ساهمت الظروف البيئية فى تكوين العرف الاجتماعى السائد فى الأندلس التى أملت على الإنسان أن يتصف بالشجاعة والشهامة والفروسية والمروءة والوفاء والصبر)[6].

لقد تمتع العرب بقيم خلقية دَلّلت كتاباتهم ومخلفاتهم على ذلك. يقول ابن بسام (غدا الدين جديدا، والإسلام سعيداً، والزمان حميدًا وعمود الدين قائمًا، وكتاب الله حاكمًا، ودعوة الإيمان منصورة)[7]. ويقول المقّرى (أم بأى لسان أثنى على مَزاياهم الحسان؟ وما عسى أن أقول من قول نسقوا الفضائلَ ولاء؟ وتعاطُوا أكواب المحامد ولاء؟ وسحبوا من المجد مُطارف ومَلاء وحازوا المكارم وَبَدوا المُوادر والمُصارِم سؤددا وعلاء)[8].

وفى موطن آخر يقول المقرى (أهل الأندلس عرب فى الإنسان والأنفة وعلو الهمم وفصاحة الألسن، وطيب النفوس وإباء الضيم. بغداديون فى نظافتهم ورقة أخلاقهم ونباهتهم وحسن نظرهم وجودة قرائحهم ولطاقة أذهانهم)[9]. ووجود

---

(١) الفتح بن خاقان، مطمح الأنفس ومسرح التأنس فى ملح أهل الاندلس، المقدمة دراسة وتحقيق: محمد على شوابكة، ط الأولى ١٩٨٣، دار عمار، مؤسسة الرسالة.

(٢) ابن بسام، الذخيرة، م١ ق٢، ص ٨٧، ط ١٩٨١، ليبيا تونس الدار العربية للكتاب.

(٣) المراكش الحلل السندسية فى الآثار المراكشية، جـ١ ص ٢٢٠.

(٤) لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة فى اختبار غرناطة، جـ١، ص ١٤٣.

(٥) المعرى التلمسانى، نفح الطيب فى غصن الاندلس الرطيب، تحقيق: احسان عباس.

(٦) المراكشى، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، ص ٣٩، الطبعة الأولى، مصر.

(٧) ابن بسام، الذخيرة، م١، ق٢، ص٢٣٦.

(٨) المقرى، النفح، جـ ١، ص ٦٤.

(٩) المصدر نفسه، جـ ٢، ص٦٣، وانظر: د. عمر الدقاق، ملامح الشعر الأندلسى، ص ٤٠.

هذه الفضائل منوط بشيء من التقدير أو التخييل الجزئى لما ينبغى فعلو من مفاهيم ما وعلى قدر ما[1]. نلمس ذلك من معانى الأشعار[2]. الذى بثها بعض الشعراء قبيل عصر الطوائف والمرابطين وفى مضمار المبادرة بالعمل الصالح يقول ابن عبد ربه الأندلسى، وفيه معنى العطيّة قبل السؤال[3]:-

كَرِيمٌ على العلاَّتِ جَزلٌ عطاؤه يُنيلُ وإن لم يَعْتَمد لنَوالِ
وما الجودُ من يُعطى إذا ما سألتُهُ ولكنّ: من يُعطى بغيرِ سؤالِ

وأكرم الناس من يُسرع فى قضاء الحاجة[4]:-

أُنْظُرْ إلى عَرضِ البلاد وَطُولِها أَوَلَسْتَ أَكرمَ أَهلها وَأَبَرّها
حاش لِجَودِكَ أَنْ يوعر حاجتى ثِقَتِى بِجُودِكَ سَهّلت لِى وَعْرَها

وأكثر الشعراء تمدحا بالكرم ابن دراج القسطلى (ت ٤٢١هـ) فقد كان شاعرًا مستقيمًا حساسًا متعلقًا تعلقا شديدًا بزوجه وأولادهِ وطبعه الكريم وسماحة يده دفعه إلى إشعال عود الألوة بدلا من الحطب لأقراء نار الضيف قائلاً[5]:-

أَنُورُكِ أَمْ أَوْقَدْتِ بالليلِ نارَكِ لباغٍ قِراكِ أَو لباغٍ جوارَكِ؟

---

(١) ماجد فخرى، ابن رشد فيلسوف قرطبة، ص ١٠٥، الجامعة الأميركية، بيروت، المطبعة الكاثوليكية.

(٢) الدكتور محمد مجيد السعيد، الشعر فى ظل بنى عباد، ص ٤٨-٤٩، ط١، ١٩٧٢م، مطبعة النعمان، النجف الاشرف، ساعدة وزارة التربية على نشره.

(٣) ديوان ابن عبد ربه، ص ١٣٥، جمعه وحققه وشرحه الدكتور محمد رضوان الداية، الطبعة الأولى ١٩٧٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، وانظر: الأدب الأندلسى، ملا فريج وعبد الجليل خليفة، جـ ١، ص ١٣١.

(٤) الديوان، ص ٩٣، انظر نظيره فى المصدر نفسه ص ٩٦.

(٥) ديوان ابن دراج القسطلى، ص ٨٤، تحقيق: محمود على مكى، ط الثانية، المكتب الإسلامى، بيروت، ١٣٨٩.

وَرَيَّاكِ أَم عَرْفُ المجامرِ أَشْعَلَتْ بعودِ الكِباءُ(*) وَالألوةِ نارُكِ؟

ومن أُمهات الفضائل والقيم الشجاعة[1]، التى تصون شرف الإنسانية وهى: ألاْ يجبن الإنسان، أو يستسلم لما يعتويه من مصائب الحياة لأن الحيوانات والطيور تدافع عن أنفسها وعن أبنائها والإنسان أولى منها بهذه الفضيلة.

ولمّا كانت الشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل[2]، فإن كثرة الحروب والمنازعات التى شهدتها بلاد الأندلس كانت سببا لظهور الأبطال من الرجال الذين كانوا يمتدحون بالشجاعة ويتوسمون فيها دفاعا عن كرامتهم وعزتهم.

وهذا الحكم بن هشام[3] (ت ٢٠٦هـ) يفتخر ببطولته وقوة انتصاره فيسقى العدو ناقع الموت، فلا يحيد ولا يجزع.

ولقد كان الميل إلى القتال هو الآخر من الدوافع التى حملت الشعراء على التكبير فى هذا النهج الذى اتبعوه فى سيرتهم السياسيةَ وهم يرون فيها انتزاع الحق وكشف الدجى ونشر الأمن والطمأنينة[4].

وقد دعا ابن عبد ربه إلى وصف الحرب وبيان شجاعة الشجعان، هو أنه كان هناك قول مأثور ينقشونه على أكثر معاهدهم العلمية هو أن العالمْ يقوم على أربعة

(*) الكباء، ممدود، ضرب من العود والدّفنة، وقال أبو حنيفة: هو العود المتبخر به. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مجلد ١٥، دار صادر، بيروت، ١٩٥٦ (مادة) (كبا)، ص ٢١٤.
الألوة: الغلوة والسيقة، والألّوة، بفتح الهمزة وضمها والتشدد والألوَّة والألوة، بفتح الهمزة وضمها لغتان، العود الذى يتبخر به، راجع لسان العرب، مجلد ١٤ مادة (ألا) ص ٤١.

(١) الخلق مجلد ١٤ مادة (ألا) ص ٤١.

(٢) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى، نهاية الأرب فى فنون الأدب، جـ ١٨، ص ٢٥٤، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، المؤسسة المصرية للطباعة والنشر.

(٣) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر امرائها، ص ١٢٠، تحقيق: إبراهيم الأبيارى، دار الكتاب المصرى، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٩، بيروت.

(٤) المصدر نفسه: ص ١٣٢-١٣٣، وانظر: أحمد هيكل، الأدب الأندلسى من الفتح إلى سقوط الخلافة، ص ٨٣، ط٧، ١٩٧٩، دار المعارف، الطبعة ٣، ١٩٦٧.

أمور: علم الحكماء، وعدل العظماء، ودعاء الصلحاء، وشجاعة الشجعان[1]. يقول[2]:-

سيوفُ يقيلُ الموتُ تحت ظباتِها ... لها فى الكلى طعم وَبينَ ألكلى شربُ
إذا اصطفت الرايات حمرًا متونها ... ذوائبها تهفو فيهفو لها القلبُ
ولم تنطق الأبطالُ إلاّ بفعلها ... بألسنها عُجمٌ وأفعالها غُرْبُ
إذا ما التقوا فى مأزقٍ وتعانقُوا ... فلقياهُم طعنٌ وتعنيقهم ضَرْبُ

لقد توطدت (الشجاعة بالمغرب الإسلامى وبما حمل معه إلى أهلها من بناء اجتماعى ومن مثل أخلاقى ومن ثقافة يمثّلها)[3]. وكثيرا ما قرن الشاعر الشجاعة بالجود والكرم فنجد عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك[4]:

ولا خَيْرَ فى الدُّنيا ولا فى نَعِيمها ... إذا غاب عَنها حَبْوَةُ بن المُلامِسِ(*)
أخُو السَّيف يَقْرِى الضَّيفَ حَقّاً ... عليه وَينفى الضَّيْمَ عن كُلِّ بائِسِ

ولما كان الجهاد خلقا من الأخلاق يحتاج إلى التمسك بالدين وضبطًا للنفس وللعقل الراجح والمعرفة التامة ناهيك عن (الجانب المعنوى فى الأنسان حين يؤكد ضرورة رعاية الأخلاق فى مجال تربية السلوك الخلقى)[5]، لذا لعبت الأسرة داخل

---

(١) انظر: ديوان ابن زيدون عصره وحياته وادبه، ص ١٦، شرح على عبد العظيم، مطبعة الرسالة ١٩٥٥.

(٢) ديوان ابن عبد ربه، ص ٢٠.

(٣) انظر: ليقى يروفنسال، حضارة العرب فى الأندلس، ص ٥، ص ٦٣، ترجمة ضوقان قرقوط.

(٤) انظر: جذوة المقتبس، جـ١، ص ٣٠٩، ترجمة (٣٩١)، تحقيق: د. إبراهيم الإبيارى.

(*) حَبُوة بن الملامِس الحَضْرَمى: وهو أحد النِّر اليمانيين المتعصبين لعبد الرحمن بن هشام بن معاوية حين دخل الأندلس، أنظر: المصدر نفسه، ص ن.

(٥) مجلة الوعى الإسلامى، عدد ٤٨ لسنة ١٩٦٩، القيم الروحية، د. محمد محمود الدوش، وزارة التربية، الكويت.

المجتمع الأندلسى دورًا بالغ الأهمية خاصة فى مستوى تشكيل العقائد والمواقف والقيم الفردية[1].

وأول ما يطالعنا فى شعر الجهاد قول طارق بن زياد عند فتح الأندلس[2]:-

ركبـــنا سَـــفيناً بالمجـــاز مُقَبَّـــرا عَـسى أنْ يكـون الله مِـنْاقَدْ استرى

نفوسًـــا وأمـــوالاً وأَهْـــلاً بحـــبّةٍ إذا مـا تـشهينا الـشيء مـنها تَيّـسرا

ولقد تبلور الجهاد فى عهد الحكم بن هشام (ت ٢٠٦هـ) حيث كان كثير الغزو[3] فهو أول من (جنّد بالأندلس الأجناد والمرتزقة وجمع الأسلحة والعدد)[4].

ومما ذكر فى أخبارهم أنهم كانوا (أصحاب جهاد ورباط. وذكرو يأس ورغبة فى نكاية المشركين، وكان إذا أسر الأسير لم يقتله حتى يعرض عليه الإسلام حينا)[5]. ومنهم من كان (يُحيى الليلَ بالصلاةِ حتى إذا أصبح لبس قباءه وسلاحه ومضى إلى الصف حيث القتال، فوقف فيه)[6]. وكانوا يدعون ملوكهم وشعوبهم إلى الجهاد فى سبيل الله بعبادات تتوفر هيبة ويبكون بالدمع السخى وحيد أسرارهم[7]. فى ذلك يقول ابن درّاج[8]:

---

(١) انظر: د. أ. محمد بن عبود، التاريخ السياسى والإنسانى لاشبيلية فى عهد دول الطوائف، أنظر: المقدمة، تقديم. و. وليم.

(٢) نفح الطيب: جـ١ ص ٢٦٥، وأراء كثيرة حول مدى صحة نسبة هذه الأبيات إلى طارق انظر أحمد هيكل، الأدب الأندلسى، ص ٦٧-٧١، وكذلك الدكتور جرجى الطونيوس، طريقة الوجدية وأرثها فى الأندلس، ص ٣٩، ط الأولى دار الكتاب اللبنانى، بيروت، ١٩٨٣، وانظر: المقتبس فى تاريخ رجال الأندلس، تحقيق: بيروت، ١٩٨٣، وانظر: المقتبس فى تاريخ رجال الاندلس، تحقيق: فاشور أنطونية، ص ٤، باريس، بولس كنز الكتبى، ١٩٣٧.

(٣) ابن خلدون، العبر وتاريخ المبتدأ والخبر، جـ ٤، ص ١٢٥.

(٤) أخبار مجموعة، ص ١٣٢-١٣٣، وابن الأبر، الحلة السيراء، جـ١، ص ٤٩.

(٥) الخشنى، قضاة قرطبة، ص ٣٨، تحقيق: د. إبراهيم الأبيارى.

(٦) المصدر نفسه، ص ٥٤.

(٧) بالنثياءُ تاريخ الفكر الأندلسى، ص ٤٨.

(٨) الديوان، ص ١٢٧-١٢٩.

جاهَـرْتَ حُـرَّ بلادِهِـم بجهـادِهِمُ حتـى غَـدَوْا وَهُـمُ لهـا أَسـرارُ

وَمُجاهِـدًا فِـيْ اللهِ حَـقَّ جهـادِهِ وَاللهُ أَبْـصَرَ فِـيكَ مـا يَخْـتارُ

هذا وقد وجدنا (أقدم صور الوقائع البحرية تَرِدُ عند شعراء القرن الرابع الهجرى فقد ساق جملة من أشعارهم أبو عبد الله الكتانى ويقترن ذكر ابن هانىء الأندلسى (ت ٣٦٢هـ) يوصف الأساطيل)[١] هذا بالنسبة للجهاد ـ أمّا من ناحية الحق فالإنسان بطبيعته محكوم بقيم مجتمعه وهو مرآة تجسد مفاهيم سائدة وضاغطة[٢] ومن حق الباحث أن ينظر بعين العقل ويصدر عن تأمل حكيم خالص إلى الترف والمحافظ والتراث وإلى جماعات أهل الحق من الثائرين من العلم وقارعى طبول الثورة والناهين عن المنكر والآمرين بالمعروف والزهاد من العباد[٣].

ذلك (إن استيفاء الحق من غير ظلم، كالتواضع فى آداء الحق من غيرِ ذُل)[٤]. وما احسن قول عالم الأندلس المالكى عبد الملك السَّلَمى المشهور بابن حبيب المتوفى (٢٣٩هـ) وقد ربط بين الحق والوضوح والنور الذى ينير الظلمات ويكشف الكربات فى قوله[٥]:-

صـلَّى الإلـهُ علـى النَبـىِّ المـصطفى هـادى الـبريّة كاشـف الكُـرُباتِ

وعلـى ضَـجيعيه الـسلامُ مـردَّدًا مـالاحَ نـورُ الحـقِّ فِـى الظُّلمـاتِ

ولقد حقق الأندلسيون من روعة القيم الحضارية ما يستحق كل تقدير ذلك

---

(١) انظر: الدكتور منجد مصطفى بهجت: البحر فى شعر الأندلس والمغرب، عصر الطوائف والمرابطن، ص ٣٦، ٤٠، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، ١٩٨٦.

(٢) الدكتور محمد فاروق النبهان، الفضيلة والحق، مجلة الفيصل، عدد ١٥٥، سنة ١٣/ ١٩٨٩.

(٣) الدكتور قيصر مصطفى، حول الأدب الأندلسى، ص ٦١، مؤسسة الأشرف، بيروت، لبنان.

(٤) أبو حيان على بن محمد التوحيدى، أخلاق الوزيرين مثالب الوزيرين الصاحب بن عباد وابن العميد، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجى، ص ١١، نقلا عن: المقابسات للتوحيدى، ص ٤٥٨.

(٥) انظر النفح، ص ٤٦.

بإسلامهم الذى يعد أرفع القيم الحضارية وأسماها فى تاريخ البشرية[1]. فالمجتمع الذى يسوده هذا الخلق الرفيع تراه مجتمعا سعيدًا قد أحسن إلى نفسه فأحسن الله إليه وفى ذلك يقول يحيى بن الحكم الغزال (ت ٢٥٠هـ)[2]:-

إذا أَخَـذْتَ الحـقَ مِنـى فَـلاْ ... تَلْـتَمِس الـريحَ ولا تَـرغبِ

قَـدْ أَحـسنَ اللهُ إلينـا مَعَـاً ... إنْ كـانَ رأس المـالِ لَـمْ يَـذْهَبِ

أمّا الحكمة فقد نبغ فى بيئة الأندلس العلماء والحكماء والأدباء والشعراء والفلاسفة والمفكرون والمتصوفة والزهاد وحسبك بابن جاجة (ت ٥٣٢هـ) وابن الفرضى (ت ٣٥١هـ) وابن طفيل (ت ٥٨١هـ) وابن زهر (ت ٥٩٥هـ)[3]، ناهيك عن قدوم الأعلام الذين كان لهم أثر عظيم فى بث بعض العادات الذائعة فى مجتمعاتهم آنذاك. (فمسألة الشريعة والحكمة كانت أقرب إلى المذاهب)[4].

وقد منَّ الله عليهم بفضل العلم والحكمة يقول أفلح بن عبد الوهاب(*) بن عبد الرحمن (ت ٢٤٠هـ). مبينًا تفضيل العلم على العبادة[5]:-

للعلـمِ فـضل علـى الأعمـال قاطبة ... عـن النبـىّ رَوَيْـنا فـيه أخـبار

فـى العِلـمِ أَعظـمُ عـندَ اللهِ أخطـار ... يَقُـولُ طالـبُ علـمٍ بـاتَ ليلـتهُ

صـامَ الـنهار وأحـيا الليـلَ إسـهارا ... مـن عابـدٍ سَـنةً للهِ مجـتهدًا

---

(١) أحمد الشرباصى، أخلاق القرآن، ص ٣٥١، مطبعة بغداد، سنة الطبع بلا.

(٢) انظر: الدكتور محمد صالح البنداق، يحيى بن الحكم الغزال، ص ٤٤، ٤٥.

(٣) خير الدين الزركلى، الأعلام، جـ٦، ص ٢٥٠، جـ ٢، ص ١٤٤.

(٤) ماجد فخرى، ابن رشد فيلسوف قرطبة، ص ٢٧، الجامعة الأمريكية، بيروت، وانظر: علاء الدين على بن عبد الله البهائى الفرولى، مطالع البدور فى منازل السرور، جـ ١، ص ٩٩، الطبعة الأولى، سنة ١٢٩٩، مطبعة إدارة الوطن (ورد فيها حكمة تخص الخاصة والعامة)..

(*) عاصر الحكم وعبد الرحمن الأوسط.

(٥) تاريخ الأدب العربى، جـ ٤، ص ١٠٩-١١٠.

ولا يغيب عن بالنا حكيم الأندلس يحيى بن الحكم الغَزال (ت ٢٥٠هـ) ما قاله من جميل حِكَمِهِ فيما يقضى الله للبشر من السعادة فى ستر الذنوب:-

ومـــن إنعـــام خَالِقـــنا علينـــا ... بـــأن ذنوبـــنا ليـــستَ تَفُـــوحُ

فلـــو فاحـــت لأصـــبحنا هـــروبًا ... فُـــرادَى بـــالفلا مـــا نـــستريحُ

أما الخشنى(*) (ت ٢٨٦هـ) فيقول فى حكمة الإيمان والتزود بالتقوى[١]:-

تَزَوَّدَ أَخى من قبل أن تَسكُنَ الثّرى ... وتلـــتفّ ســـاقٌ للنـــشُورِ بـــساقِ

أما سعيد(**) بن إبراهيم (ت ٣٤٢هـ) فحكمته فى الحياة (الموت يدركه[٢] انما يفر).

وقـد آذنـتْ نَفسى بتقويضِ رحلـها ... وأَسرعَ فى سَوقى إلى الموت سائِقى

وإنـى وان اوغقـتُ أو سـرتُ هاربًـا ... من الموت فى الآفاقِ فالموتِ لا حق

أما عبد الله(***) بن يعقوب الذى كان فى أيام الحكم المستنصر فله قناعة تامة بأن

(*) الخشنى، محمد بن عبد السلام من أهل كوره حيّان، انتقل إلى قرطبة فكسنها إلى أن توفى بها. له تأليف فى شرح الحديث وكان خيرًا دَينًا، انظر: ابن القرض، جـ ٢، ص ٢٤، وللمزيد انظر: يالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسى، ص ٦٤ (أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٠٦هـ) كان مؤدبًا للخليفة هشام وشاعرا يميل للحكمة والزهد: وانظر المصدر نفسه، ص ٧١-٧٢، ابن الهندى بن أبى زمنين حبيب الصقلى (أبو عبد الله محمد بن أبى زمنين (ت ٣٢٤هـ) أشتهر فى التصانيف والوعظ والزهد وأخبار الصالحين.

(١) أبو بكر الزبيدى، طبقات النحويين واللغويين، ص ٢٦٨، ط دار المعارف.

(**)هو سعيد بن إبراهيم بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن خُدير ولى الأمير هشام بن عبد الرحمن بن معاوية (ت ٣٤٢).

(٢) المراكشى، الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة، ترجمة ٥٩٠، ص ٢٦.

(***)عبد الله بن يعقوب الأعمى (يعرف بعبود) اديب شاعر مكثر منتجع للملوك أثير عندهم عالم بالأدب، كان فى أيام الحكم المستنصر.

كل شيء إلى زوال وهو يأنف له السؤال وفقر الحال يقول[1]:-

عِـزُّ الفَتَـى فـى الحَـياةِ مالُـهْ ... وذُلُّـة فـى الـوَرىَ سُـؤالهْ

لا تَغَـترِرْ بأعنـدالِ حـالٍ ... فَعـن قَلـيلٍ يُـرى زَوالـهْ

وكُـلّ مـا قـد تَـراه حَـتمًا ... لابُـدَّ مـن أنْ تَحُـولَ حالُـهْ

ومن جيد الحكمة قول الحاجب المصحفى (ت ٣٧٢هـ)[2]:-

لا تأمـننَّ مـن الـزمانِ تقلـبًا ... إنَّ الـزمانَ باهلـهِ يـتقلبُ

وإذا أتـت أعجـوبة فأصـبر لهـا ... فالدهـر يأتـى بالـذى هـو أعجـبُ

ومن جميل الفلسفة والحكمة يقول محمد بن عثمان (ت ٣٨٧هـ)[3]:-

لا ار للمـرء بعـد المـوت يـسكنها ... إلاّ التـى كـان قـبل المـوت بانـيها

فـان بَـناها بخـيرٍ: طـابَ مَـسْكنها ... وان بـناها بـشَر: خـابَ بانـيها

أموالـنا لـذوى المـيراث نجمعهـا ... ودورنـا لخـراب الدهـر نبنـيها

وللحـتوف تُوبـىٌ كـلّ مرضـعة ... وللبلـى بـرأ الأرواح باريهـا

الصبر:

أما نعمة الصبر فقد مَنَّ اللهُ بها على عباده الصالحين الذين يرمون شكر نعماه وجزيل مثوبته. وهذا أبو عثمان سعيد بن جودى السّعدى (ت ٢٨٤هـ) يجد الصبر الملاذ الوحيد لتنفيس كربته فيقول[4]:-

---

(١) جذوة المقتبس، جـ٢، ص ٤٢١-٤٢٢ (٥٧٣).

(٢) محمد محمود يونس، ما تبقى من شعر الحاجب المصحفى، ص ١٧٧، مستلة كلية التربية، جامعة الموصل.

(٣) التكملة لكتاب الصلة، جـ ٢، ص ١٨٦، ترجمة ١٩٢٥.

(٤) الحلة السّيراء، جـ١، ص ١٥٥-١٥٦، وردت له ترجمة موجزة فى جذوة المقتبس، جـ١، ص ٣٥٦، ترجمة (٤٦٧)، بلا أشعار.

أمستنصرًا بالصبرِ قد دُفِنَ الصبر ... مع الحَسَنِ المأمولِ إذ ضَمّهُ القَبْرُ

خليليَّ صبرًا، راحة الحرِّفي الصّبرِ ... ولا شيءٌ مثلُ الصبرِ من الكَرْبِ للحُرِّ

وقال جهور بن عبيد الله بن أبى عبده الوزير أبو الحزم (ت ٢٩٦هـ)[١]:-

أصبر فلست ترى على ... أحد حماه الصبرُ عارا

فالصبرُ أنفعُ دخره ... لو كنت آيته اختيارا

ولا تغرب عن البال بأن نعمة الصبر على البلوى مطابقة لمبادئ الدين الحنيف الحاثّة على الخلق الرفيع[٢].

ويرى جعفر بن عثمان المصحفى (٣٧٢هـ) الصبر على الأيام هو المفتاح الذى يفرج به الكرب، وبابا من أبواب الفرج وفيه نفى لِلّذات الإنسانية التى كان ينقصه الإباء والكرامة فيها[٣]:-

صَبَرْتُ على الأيامِ لَمّا تَوَلتِ ... وألزمتُ نفسى صبرها فاستمرَّتِ

فواعجبًا للقلب كيف اعترافه ... وللنفس بعد العِزِّ كيف استذَلتِ

وكانتْ على الأيامِ نفسى عزيزةً ... فلما رأتْ صبَرى على الذلِّ ضلّتِ

وبصورة ايحائية عبّر الشاعر أبو مروان عبد الملك الجزيرى[٤] (ت ٣٩٤هـ):-

ألوى بعزم تجلدى وتصبرى ... نأى الأحبّة واعتيادى تذكرّى

---

(١) الحلة السيراء، جـ١، ص ٢٤٥-٢٥٠.

(٢) انظر: ابن عبد ربه وعقده، ص ٢٠١-٢٠٢، وانظر: الديوان، ص ٧، والدكتور متولى حميد، قضايا أندلسية، ص ٣٣٥، ط ١٩٦٣، دار المعرفة.

(٣) انظر: ما تبقى من شعر المصحفى، ص ١٨٠، وانظر نفح الطيب، جـ١، ص ٥٩٣. والرواية مختلفة عند د. نيكل، مختارات من الشعر الأندلسى، ص، ٣٦، (فيا عجبا) و(اصطباره).

(٤) أبو مروان الجزيرى، ص ١٠، وانظر نظيره، م ن، ص ٤٩، ٥٩، ٦٥، تحقيق هلال ناجى.

وجنيتُ صبرًا بعدها مُرَّ الجنى ومزجتُ سمًّا درَّة العيش المرى

واصبر وإنّ جاروا فَرُبَّةَ فتنةٍ تهتاجها أنصار جَوْر الجوَّرِ

وإذا عراك الخير فاشكر وانتشر وإذا عراك الشر فاصبر وابشرِ

واصبر على نَوَبِ الزمان فإنها قدرُ الإله الواحد المتكرِّ

فالتحصن بالصبر يقوى العزيمة ويشد الأزر لمواجهة عِثارًا الوقائع ويقول فى ذلك محمد بن(*) شخيص(١) (ت قبل الأربعمائة):-

ولا جيشُ إلا الصبرُ والدعوة التى وقى الله راعيها عِثارًا الوقائع

إذا الحُرُّ لم يجعل من الصبر دِرعَهُ وإن لم يُوَفِّ الموت جَفْنَ المدامع

وكانت أشعارهم نتبيها ذهنيا إلى هذه القيمة الخلقية خاصة عند النوائب والمحن. فقد كتب الجزيرى (ت ٣٩٤هـ) فى معتقله قصيدته المشهورة التى مطلعها(٢):-

أَلْوَى بِعَزمِ تَجَلُّدى وَتَصَبرى نَأى الأَحبَّةِ واعتيادِ تَذَكُرِ

وكتب أبو عبد الله الغسانى إلى المنصور بن أبى عامر يستعطفه بعد أن سجنه قائلا(٣):-

---

(*) محمد بن شخيص (هو محمد بن مطرف بن شخيص أبو عبد الله) وصفه الحميدى بأنه كان من أعيان الشعراء المتقدمين سالكا إساليب الجد والهزل له قصائد ومقطعات فى التشبيهات، توفى قبل الأربعمائة.

(١) المقتبس فى اخبار بلد الأندلس، ص ٥٤.

(٢) انظر: قصيدةالجزيرى، ص ١٠.

(٣) ابن الأبار، اعتاب الكتاب، ص ١٩٤، تحقيق: د. صالح الأشتر. وانظر: الدكتور عمر عبد العزيز عتيق، الأدب العربى فى الأندلس، ص ٢٤٠.

دَعْوت لما عِيلَ صَبْرى فهل يسمع دعواى المليك الحليم

وقد يُبلغْ المرام بالصبر بعد المكابدة وطول الانتظار يقول هارون بن صالح بن جندل الأديب (ت ٤٠١ هـ)[١]:-

فكابـدُوا المجـد حتـىَّ كـلَّ اكثـرهُم وعانـقَ المجـدَ مـن أَوْفَـى ومـن صَـبرا

لا تَحـسب المجـدَ تَمـرًا أَنْـتَ آكِلِـهُ لـن تـبلغ المجـدَ حتـى تَلْعَـق الـصبَّرا

ويقول حسان بن مالك (ت ٤١٦ هـ) أنه سوف يجازى لكثرة صبره وتجلده[٢]:-

إذا كـان مِثْلـى لا يُجـازى بِـصَبْرِهِ فَمَـنْ ذا الـذى بَعْـدى يُجـازى علـى

وهكذا وجدنا الصبر عندهم منبعثا من المعنويات والقيم الخلقية.

الوفـاء:

ومن خلال استطلاعنا الشعر تبين أن الأندلسى كان أنموذجًا أصيلاً فى هذه السجية العربية التى أصّر عليها الشعراء.

وقد دعت هذه المثالية الخلقية الأحبة للوفاء والإخلاص تجاه الحبيبة فلا يبرح حنينهم للبعد والنوى، قال يوسف بن هارون الرّمادى[٣]:-

---

(١) انظر: مطمع الأنفس، ص ٢٦٦.

(٢) نفح الطيب، جـ١، ص ٤٣٦-٤٣٧، تحقيق: د. إحسان عباس، وانظر: تاريخ الأدب العربى، جـ ٤، ص ٣٦٨. وقد أكثر ابن درّاج القسطلى من الصبر فى ديوانه، انظر: ص ٤، ١٤، ٦٦، ٧٥، ٧٦، ١٠٢، ١٣١، ١٣٩، ١٨٣، ٢٤٥، ٢٥٠، ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٧٩، ٣٣٢، ٣٤٥، ٣٩٢، ٤٠٩، ١٤٠، ٤٢٥، ٤٥٦، ٤٦٦.

انظر: ابن شاكر الكتبى، فوات الوفيات والذيل عليها: جـ ٢ ص ١٤٩-١٥٠، ترجمة (٢٠٩) عبادة بن ماء السماء الأندلسى (ت ٤٢٢ هـ)، تحقيق: د. احسان عباس.

(٣) انظر شعر يوسف بن عارون الرمادى، ص ٨٣، قطعة (٦١)، والتشبيهات، ص ١٦٠، قطعة (٣٤٢).

وقفتُ على الدّارِ الخَلاءِ كأنّنى ... وَقَفْتُ على قَلبٍ من الصَبْر بَلْقَع

رميتُ جمارَ الدمع فى موقف النّوى ... وقد طفتُ أسباعًا يرسمِ وأَربّع

ويقول الغزال فى المعنى ذاته[1]:-

وفائى إذا ما غبتُ عنكم منجدَّدُ ... وغيرِي ذو غدرٍ أوانَ يغيبُ

وَلَوْ لَمْ يكُنْ مِنّى الوفاء سجيّة ... كنتُ لِغيْرِ ابن الحسين أنيبُ

ويطالعنا أيضا بأبيات يظهر فيها تمسكه بالوفاء وحفاظه على الود لأصحابه قائلا[2]:-

فَوَاللهِ ما يَّرتْ يمينى، ولا وَفَتْ ... لَهُ، غَيْر أَنّى ضَامِنٌ بوَفائى

فأبتُ إلى صَحْبِى وَلَمْ أَكُ آيبًا ... فَكُلُّ يُكُلُّ يَغَدِّينى وَحُقَّ فِدائِى

وربما أبدى الشاعر من الوفاء ما كان محطًا لاقوامهم فى ذلك المجتمع الذى انصهرت فيه الأجناس وذابت القوميات.

الحلم:

ومن النعم التى منّها الله على الإنسان العقل وزيّنه بفضيلة الحلم وهو من القيم

---

(١) نفح الطيب، جـ ٢، ص ٢٧٤، وقد خلا منه الشعر المجموع محمد صالح البنداق، والدكتور حكمة الآوسى فى كتاب (فصول من الأدب الأندلسى).

(٢) انظر: محمد صالح البنداق، يحيى بن الحكم الغزال، ص ١٧٥، قدم له د. أحسان عباس، دار الآفاق، بيروت.. وقال أبو الوليد بن القرض (ت ٤٠٣هـ) فى الوفاء تجاه الحبيبة، انظر: تاريخ الأدب العربى، جـ ٤، ص ٣٣٦، وعبّر يحيى بن هذيل (ت ٣٨٦هـ) عن وفائه، انظر بغية الملتمس، جـ٢ ترجمة (١٥٠)، ص ٦٨٣-٦٨٤، تحق إبراهيم الإبيارى، كما فعل ابن البقال الضرير (ت ٤٠٦ هـ)، وانظر: تاريخ الأدب العربى، جـ٤، ص ٣٤٦، وانظر: ديوان ابن دراج القسطلى، ص ١٦، ص ٢٧،٣٨، ٤٢، ٤٧، ٥٢، ٧٣، ٧٦، ١٥١، ٢٠٤، ٢٠٧، ٢٥٩، ٢٨٢، ٤٠٢، ٤٠٩، ٤١٨، ٣٤٤، ٣٥٨، ٤٢٨، ٤٤١، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٥٧.

الخلقية التى اتصف بها الأندلسى فى القرن الثانى والثالث الهجريين بعد أنْ أَحسَّ العواقب الوخيمة التى يخلقها الانفعال وسرعة الغضب[1].

وقد استهجن الشعراء صفة الجهل والحمق فقال أحدهم[2]:-

إنىّ ارى الحلمَ محمودًا عواقبُهُ والجهلُ أَفنى من الأقوام أقواما

والحلم من الفضائل المعنوية التى تكسب المعتبر عبرة وقد عبرّ الغزال عن ذلك المعنى بقوله[3]:-

وصـرتُ لا أنهـضُ إلا بعـدَ سِـرّ
لَوْ ضَامَنِي مَنْ ضَامَنِى لَمْ أَنْتَصِرْ
فانظـرُ إلىّ واعتَبِـرّ ثُـمَ إعتـبر
فـإنَّ للحلـيم فـىَّ مُعْتَبَـرْ

ومن لوازم الحلم الثانى وبعد النظر فى الأمور يقول محمد(*) بن الحسين الطبنى (ت ٣٩٤هـ)[4]:-

وَوَعْـد ان اردت لـه عِقابًـا عَفـى عـن دينهِ حَسبى ودينـى
ولـولا الحلـم ان لـه لجامًـا لـداس الفحْـلُ بطـن ابـن اللـيونِ

---

(١) شهاب الدين محمد بن أحمد بان الفتح الأشهبى، المستطرف فى كل قن مستطرف: ١/١٧٨، منشورات المكتبة التجارية الكبرى، سنة الطبع بلا.

(٢) العقد الفريد، جـ ٢، ص ١٢١.

(٣) يحيى بن الحكم الغزال، ص ١٩١..

(*) محمد بن الحسين بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن زياد بن كعب بن مالك الحصانى، شاعر مكثر واديب مفتن ومن بيت أدب وشعر وجلالة ورياسة كان فى أيام الحكم المستنصر.

(٤) تاريخ إفتتاح الأندلس، ص ١٤.

ويرى الجزيرى (ت ٣٩٤هـ) أبعادًا أوسع من أن يقف عند حدود الحلم قائلا[١]:-

واذا أتـيتَ نـديَّ قـوم خـالقهم ... باسـمِ الـسَّلامِ ورد لحلـم واصـدرِ

واصفح عن العَوّراءِ إنْ قِيلَتْ وَعُدْ ... بـالحلم مـنك علـى الـسفيهِ المُعْـورِ

وقد ردد يوسف بن هارون الرمادى[٢] (ت ٤٠٣هـ) فى شعره شخصيات ضُرِبَ بهم المثل فى الحلم والوقار والكرم والعقل:

إياسًا وبسطامًا، وحاتِمُ طىءٍ ... وأحنفَ[*] عند الحِلْم وابنَ المُقَفَّعِ

وعّبر ابن دّراج[٣] عن الحلم بصور شتى. منها ما يجب توافره من سمات تساعده فى سلوكه على تجنب كل العوامل التى تتعارض وقيمة الحلم.

العفـاف:-

لقد نالت المثالية الشعبية فى المجتمع الأندلسى إعجابًا فكانت واسعة النطاق تحولت إلى ترانيم تغنى بها الشعراء. علمًا أن مؤثراتها نابعة من الثقافة الإسلامية التى نهضت وازدهرت فى تلك الفترة.

---

(١) أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيرى فى الآداب والحسبة، ص ٦٠.

(٢) انظر: شعر الرمادى يوسف بن هارون، ص ٨٦، جمعه وقدم له ماهر زهير جّرار، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، ط١، ١٩٨٠.

(*) الأحنف بن قيس بن معاوية المنقرى التميمى، أبو بحر سيد تميم وأحد العظماء والدهاة الفصحاء الشجعان. يضرب به المثل فى الحلم أدرك الإسلام ولم ير النبى. انظر طبقات ابن سعد، جـ ٧، ص ٩٣-٩٧، ط دار صادر بيروت ١٩٥٨.

(٣) انظر: ديوان ابن درّاج القسطلى، ص ٢٤٧، ص ١٣٢،٩٦ ص ٢٧٠، وانظر أبياته التى وردت فى هذه الفضيلة فى م ن على سبيل المثال، ص ٥٨، ٦٧، ٩٦، ١١٧، ١٦٧، ١٦٨، ٢٠٧، ٢١٠، ٤٠٣، ٤٢٢، ٤١٦، ٤٢٩، ٤٣٢، ٢٤٧، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٨٢، ٣٦٤، ٣٧٨.

وانظر: محمد بن مسعود الغسانى (ت ٤٠٠هـ) فى مخاطبة المنصور بن أبى عامر فى السجن، النفخ: جـ ٣ ص ٣٨٩.

وتتفق تعابير الشعراء مع تعبير الفقهاء فى حبهم لغير الفاحشة وهو قريب من شعر الحسين بن السراج[1]:-

واللهِ واللهِ ما حُبى لِفاحِشةٍ أَعاذَنى الله من هذا وعافاكا

وان كثيرًا من معانى الحب التى طرقها شعراء القرن الرابع، قد استمرت بعدهم وربما أخذت فى الأزدياد والتفصيل.

ونلمح فى أبيات[*] الجيّانى (٣٦٦هـ) سمات الطهر والعفاف وخير وما يمثل هذا مقطوعة فى وصف عفته معبرا عن تجربته العاطفية الصادقة بوقار وسمو، على رغم من كان يدعو إلى الغواية والضلال تغنى بعفته التى جعلها طبعا له لا يستطيع مخالفته قائلا[2]:-

وَمَـا مِـنّ لَحْظَـةٍ إلاّ وَفِـيها إلى فِـتَنِ القلـوبِ لهـا دواعـى

فَمَلّكـت النهـى جمحـات شـوقى لأجـرى فـى العفـاف علـى طِباعـى

والعفة عند أحمد الجيانى (ت ٣٦٦) تلازمه فى اليقظة والمنام فيقول فى موضع آخر[3]:-

بأيهمـا أنـا فـى الحـب بـادى بِـشُكرِ الطـيف أم شـكر الـرقادِ

سـرى وأرادنـى أملـى، ولكـن عَفَفْـتُ فَلْـمَ أُنَـل مِـنهُ مُـرادى

ومـا فـى الـنوم مـن حـرج ولكـن جريت مـن العفـاف علـى اعـتقادى

---

(١) الدكتور بدير متولى، قضايا اندلسيّة، ص ٢٧٣، مطبعة المعرفة، ١٩٦٣، وأشار إلى قلائد العقيان، ص ٢١٨، ولم أعثر على البيت.

(*) انظر: ياقوت الحموى، معجم الأدباء م٢ جـ٤ ص ٢٣٦-٢٣٧، دار أحياء التراث العربى، بيروت، لبنان، طبعة أخيرة.

(٢) انظر: بحث نزهة جعفر حسن، أحمد بن فرج الجيانى، ص ٢١٣، مجلة آداب المستنصرية ١٩٨٨، كلية التربية، الموصل.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢١٤.

ولقد تعدى عفافه إلى الحلم والنوم على صفاء السريرة ونقاء الخاطر وهو تأكيد لسمة العفاف التى تبدو واضحة مبتعدًا عن الضلالة والبذاءة وفحش القول وكلّ ما يخدش الحياء فقد عاش للحب يستعذب آلامه وعذاباته.

وقد أشهر المقرئ أبو الحسن على بن عبد العزيز بن شفيع البطىّ صاحبته ونفسه بعيدين عن سوء الخلق وعن كل فاحشة قانعين بما قسم لهما الله قائلا[1]:-

فَنِعَتْ بالعفافِ من كلِّ أمرٍ فاستراحت من دَهْرِهَا بالقناعة

وقد سيّة العفاف واضحة العيان عند ابن درّاج القسطلى (ت ٤٢٩هـ) فى قوله[2]:-

من كلِّ رُوحٍ بالعَفافِ مقدّسي فى كُلِّ جسم بالسّناءِ مقلّدِ

بعُدوا عن الرِّجْسِ الذَّمِيمِ وظُهُرُوا فى مَنشَأ للمُنْجِبينَ وَمَوْلِدِ

هذه القيمة التى تغنى بها الشعراء فى الميزان الحقيقى للاستقرار النفسى الذى اتصفت به الفضائل الأخلاقية المتمثلة بطهارة العرض ونقاء الثياب.

العفو عند المقدرة:

أما العفو عند الاقتدار فهو من الشيم الخلقية التى اتسم بها أنام الأندلس وعبروا عنها برؤية خاصة وفى هذا الأطار يقول ابن عبد ربه[3]:-

تطامَنْ للزّمان يجزكَ عفوًا وإن قالوا: ذليلُ، قل: ذَليلُ

وقال أيضًا:

ما أنصفَ الحبُّ قلبى فى حكومتهِ ولا عفا الشوّقُ عنى عَفْوُ مُقتدَرِ

---

(١) ابن سعيد، المغرب فى حلى المغرب، ص ٧٨، وانظر: نظيره فى الذخيرة، م ٢، ق ٣، ص ٨٩٠-٨٩٢ ، الشيخ ابن السيد البطليوس (ت ٤١٦هـ).

(٢) الديوان، ص ٦١.

(٣) الديوان، ص ٧٥، وانظر: ص ١٤٥.

وفى الصفح والغفران عن جلل الذنوب يقول المصحفى[1]:-

عَفَـــا اللهُ عَـــنْكَ ألا رحمـــة ... تَجُـــودُ بعفـــوكَ أن أَبْعَـــدَا

لـــئن جَـــلَّ ذنـــبٌ ولم أعْـــتَمِدْهُ ... فَأنْـــتَ أَجـــلُّ وأعْلـــى يَـــدا

وكتب المصحفى إلى المنصور بن أبى عامر (٣٩٢هـ) يطلب العفو ومديد المساعدة والعون والصفح عن الأساءة والرحمة، قائلا[2]:-

إذ قادنـــى نحـــوك الأذعـــانُ والـــنَّدَمُ ... هَبْنـى أَسأتُ فـأيْن العَفْـوُ والكَـرَمُ

ترئـــى لـــشيخٍ نَعـــاهُ عـــندكَ القَلَـــمُ ... يـا خيرَ من مُدَّتِ الأيدى إليهِ أَمَا

بالغتَ فى السُّخْطِ فاصفح صَفحَ مقتدر ... إنَّ الملـوكَ إذا مـا اسْـتَرْحَمُوا رَحِمـوا

وكثيرا ما انشد الشعراء فى الإحسان والصفح عن الإساءة.. ومنهم صاحب المثل العليا ابن درّاج (ت ٤٢٩هـ) يقول فى العفو والصفح[3]:-

عـسى راحـة المَنْـصُورِ تُعَقِـبُ راحـةً ... وحُـــتمٌ لآمـــالِ العَفـــاةِ عـــساها

قَلِّلِـــهِ مـــنه قائـــد الحَمـــدِ قادَهَـــا ... ومِّنـــى مَحْـــدُوُّ الخطـــوبِ حَـــدَاها

وكثيرًا ما دعا ابن درّاج إلى المسامحة والصفح عن الإساءة والدب عن الذنب وأبياته الجّمة فى الديوان توضح ذلك.

---

(١) انظر: محمد محمود يونس، ما تبقى من شعر الحاجب المصحفى، ص ١٨١، كلية التربية، جامعة الموصل تحقيق: د. إحسان عباس، وأنظر النفح، جـ ١، ص ٥٩٥.

(٢) المصدر نفسه جـ١ ص ٦٠١، ولما عتب المنصور بن أبى عامر (ت ٣٩٢هـ) على عبد الملك الجزيرى (٣٩٤هـ) سجنه ثم صفح عنه قال كتب به اليه.

انظر: النفح، جـ٤ ص ٦٦، ط ١٩٦٨، وقد حدث سهوا للاستاذ هلال ناجى حيث نسب شعر المصحفى الوارد فى النفح إلى الجزيرى، انظر قصيدة أبا مروان عبد الملك الجزيرى، تحقيق: هلال ناجى.

(٣) انظر الديوان: ص ١١، ٥٠، ٦٢، ١٣٤، ١٤٦، ١٥٦، ٢٣٢، ٣٤٤، ٣٥٥، ٤٤٠، ٤٢٩، ٤٤٨.

وقد تضمن معنى العفو فى قول عبد الله(*) بن عبد العزيز القرشى[1]:

إذا خلتُ أنَّ العفَو منكَ مُصابحى ... فأصبحُ مغبوطًا وتُصلحُ حالِيَهْ

أتاح امرأً لا يتقى اللهَ فى امرئ ... فأطلق فينا قالةً هِىَ نابيهْ

فأصبحتُ كالرجى الحياةَ بمكةٍ ... إذا ما دنا أنأتْهُ ريحُ ثمانيْه

تلك الأبيات والقصائد تبين الشمائل العربية الإسلاميّة فى فصيلة العفو عند الاقتدار والصفح عن المسىء.

إنجاز الوعد:-

من تسنى له صون النفس وانجاز الوعد بلغ المرتبة العليا فى الدين والمنزلة المحترمة بين الناس فقد آثر ابن عبد ربه فى إشعاره القيم السائدة فى مجتمعه، كالكرم والشجاعة والتواضع وإنجاز الوعد والحافظ عليه يقول[2]:-

بادِرْ إلى التوبة الخلصاء مُجْتَهِدًا ... والموتُ ويحك لم يَمْدُدْ إليكَ يدا

وارقب من الله وعدًا ليس يخلفِهُ ... لابدَّ للهِ من انجازِ ما وَعَدَا

وله أيضًا فى تمنى إنجاز وعد الحبيب[3]:-

كم موعد لى من ألحاظ مقلتهِ ... لو أنَّهُ موعدُ يفضَى بإنجازِ

ومن شمائلهم الحفاظ على العهد والإلتزام به والمحافظة على الطباع الكريمة فى ذلك يقول الحاجب المصحفى[4]:-

---

(*).

(١) التشبيهات، ص ٢١٧.

(٢) عبد الله بن عبد العزيز القرشى كان يلقب بالحجر وهو فى أولاد الحكم الربضى، أديب شاعر، الحميدى، جذوة المقتبس فى تاريخ علماء الأندلس، جـ ٢، ص ٤١٥، ترجمة (٥٥٦).

(٣) انظر الديوان، ص ٥١، والنفح، جـ ٤، ص ٣٢١، الحماسة المغربية، جـ٢، ص ١٤٣.

(٤) ما تبقى من شعر الحاجب المصحفى، ص ١٨٣.

كأنك قد أمطرتها ديمة المجد

وأجريت فى أغصانها كرم العَهْدِ

ومما قيل فى المصحفى:-

لقد حفظ العهد الذى قد أضاعه لـدّىٍّ سـواه والكـريم حفـيظ

وابن دّراج يبرئ الخالق من إخلاف الوعد فيقول[1]:-

وَعْـدُ مـن اللهِ فـى إعـزازِ دعـوتِهِ وحـاشَ للهِ مـن اخـلاف مـوعِدِهِ

ويعدّ ابن درَاج القسطلى أكثر الشعراء التزاما بانجازا لوعد ديوانه[2].

التواضع:-

التواضع نقيض للكبر والتعالى، وردع النفس عن الأهواء والابتعاد عن الأنفة يقول عبد الملك بن سعيد المرادى (ت ٣٠٨هـ)[3]:-

مُتَواضـعًا لِجَلالـهِ مُتَحـشمًّا متـبرعًا لّمـا يُـرَعْ بقـتالِ

فالتواضع نعمة يمنحها الله لعباد الرحمن فيضفى عليهم نورًا من الجلالة ويرفعهم ويجلّهم فى أرضه، يقول المصحفى[4]:-

إذا مـا تـراءته العـيون تواضـعت لِأجلالـهِ عـن أن نقـل شـؤونها

علـيها مـن الـرحمنِ نـور جلالـه يقـصر بالألحـاظ أن تـستبينها

---

(١) الديوان، ص ٢٠٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٥، ٥٢، ٦٢، ٢٠٤، ٢٧٥، ٣٢٣، ٤٢٠.

(٣) أزهار الرياض فى أخبار عياض، جـ ٢، ص ٢٩٤.

(٤) ما تبقى من شعر الحاجب المصحفى، ص ٢٠٠.

والتواضعه مدح بعضهم ابن عبد ربه قائلا[1]:

فتـــى زاده عَـــزُّ المهابـــةِ ذلّـــةً فكـــل عزيـــز عـــنده متواضـــعُ

وقد حذّر الغزال الغنى من الغرور وألزمه التواضح وأنذره من آفة التعالى يقول[2]:-

إذا كـــنت ذا ثـــروة مِـــنْ غِنـــىً فأنـــت المُـــسوَّدُ فـــى العـــالم

وَحَـــسْبُك مـــن نَـــسَب صُـــورَةٌ تُخـــبر أنـــك مـــن آدم

الله يرفع قدر المؤمنين فهو يعزُّ من يشاء ويذّل من يشاء فإن رفع قدر فلا مذّل له. يقول القسطلى[3]:-

فَـــلا تواضَـــعَ قَـــدرٌ أَنـــتَ رافِعُـــه ولا تَـــرْفَّعُ قَـــدْرٌ أَنْـــتَ واضِـــعهُ

وله أيضًا[4]:-

ملـــيكٌ تواضَـــعَ مـــن عِـــزّ مُلـــكِ كـــسا دَهْـــرَهُ مُطْـــةَ الكِبْـــرِياءِ

وقد زاد إدراكهم لفضيلة التأدب إلى أفرزتها الحضارة الإسلاميّة.

وتواضَـــعَتْ صِـــيدُ الملـــوكِ مهابَـــةً يَضَعُونَ أَوْجَهُهُم مكانَ[5] الأَرْجلِ

أما القناعة فيرى البعض فيها الغنى، والقناعة تغنيك عن سد الحاجة وترفعك عن المذّلة فى طلب المساعدة من الناس والمهانة من ذلة المسءول وابن عبد ربه الأندلسى ينصح الآخرين من العقلاء وصولاً إلى العزة والكرامة بين الناس بتجنب

---

(١) ابن عبد ربه وعقده، ص ١٧٢.

(٢) محمد صالح البنداق، يحيى بن الحكم الغزال، ص ٢٠٨.

(٣) الديوان، ص ٣١٩.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٨٣.

(٥) نفسه، ص ٣٥٧.

لباس الحرير والتختم بالجواهر والأحجار الكريمة فيقول[1]:-

تَجَنَّبُ لباسَ الخَزِّان كنت عاقلاً ولا تَختَتِم يومًا بفصٍّ زبرجدِ

ولا تستطلب بالغوالى تعطُّرًا وتسحبُ أذيالَ العلاءِ المُعضّدِ(*)

ويجدد سمات القناعة وصولاً إلى التقوى بأن يكن حملا أغبرًا شاعثًا ملتحفًا بما غلظ من اللّباس، فيقول[2]:-

وكن حملاً فى الناس أغبَر شاعثًا تروح وتغدو فى إزارٍ وَبرجدِ(**)

وتعدّ القناعة أعلى رتبة من درجات الإيمان، وفضيلة من الله تعالى يقول الجزيرى (ت ٣٩٤هـ)[3]:-

قارصَ القناعة رتبة تسعد بها واحرص على إثيار دينك تؤثر

الصدق:-

من أراد أن يلم بالحقائق والمعارف والقيم الشائعة فى زمان ما عليه أنْ يراجع شعر قومه الذى استحال سجلاً حافلاً بكل ما يبتغيه. حيث قال طارق بن زياد فى خطبته عند فتح الأندلس (وليس لكم والله الآ الصدق والصبر)[4] وكان من تقيد أخبارهم، وتخليد مآثرهم، ما يبقى لهم لسان الصدق الذى هو بدل البقاء والخلد[5]. وقد قال عز وجل﴿ وَٱجۡعَل لِّى لِسَانَ صِدۡقٍ فِى ٱلۡأَخِرِينَ ﴾[6].

---

(١)ديوان ابن عبد ربه، ص ٤٨.

(*) المعضد، ثوب له علم فى موضع المعضد.

(٢) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(**) البرجد: كساء غليظ وأنظر أبيانا فى القناعة فى طبقات النحويين واللغويين قسم الأندلس، ص ٢٦٠-٢٦١.

(٣) أنظر: قصيدة الجزيرى، ص ٢٦٥.

(٤) قصة الأدب فى الأندلس، ص ٣٤٥.

(٥) طبقات النحويين اللغويين، ص ١٧.

(٦) سورة الشعراء: آية ٨٤.

وخلفاؤهم وفقهاؤهم إذا حدّث عنهم كانوا (من معادن الصدق) [1] وهذه السريرة النقيّة أكدها أبو مروان عبد الملك الجزيرى (ت ٣٩٤ هـ) [2]. حين أنشدَ قائلاً:-

خلفاءَ صدقٍ وَطدوا دين القوى ... وأروا معالِمهُ عيون النُظرِّ

ولصدق حديثك كُلَّ من حَدَّثتَهُ ... واصدع بحق من قضائك تُشكَرِ

وتقبّلوا نُصحى وكونوا أسوةً ... فيه بصدق تأملٍ وتدبُّرِ

وقد يكون الصدق تعبيرًا عن الذات فى النصح والإرشاد فيمنّ عليه المحبوب بالنعمة الوفيرة فى ذلك يقول ابن درّاج [3] القسطلى:-

حَمَلْتَ عليها كُلَّ حامِلِ نِعْمَةٍ ... يُمْناكَ مقرونًا بِهِ الصِدْقُ والنُّصْحُ

ويتقرب المرء من خالقه بهذه القيمة العظيمة التى تنجى صاحبها من سوء العاقبة وتقربه من العليين [4].

لعلَ آمالنا فى الله قد صَدقَتْ ... وصِدْقَ موعِدِهِ بالفتح قد آنا

وَصِدقُ ما قد عهْدتُم فى كرائمِكم ... إنْ لم يُلْكنَ أكفاءً فَأكفانا

وقد عجَّ ديوان [5] القسطلى بفضيلة الصدق وماهيّة القيم.

العدل

لقد أصبح العدل منهجًا يقوم عليه الخلفاء والملوك والسّيْر بِهِ نحوَ مرضاة الله.

---

(١) نفح الطيب، جـ ٢، ص ٢٤٣.

(٢) قصيدة ابى مروان بن إدريس الجزيرة، ص ٥٨، ٦٠، ٦٦.

(٣) الديوان، ص ٣٩٤.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٠٨-١١٢.

(٥) أنظر الصفحات التالية فى الديوان، ص ٦١، ٨٧، ٨٨، ٩٢، ٩٨، ١٠٨، ١١٢، ١٣٣، ١٣٨، ١٤٧، ١٥٥، ٢٠٢، ٢١٧، ٢٧٠، ٢٧٨، ٣٥٩، ٣٨١، ٣٩٤، ٣٩٦، ٤٠٥، ٤١٤، ٤٢٦، ٤٣٨، ٤٤٢، ٤٤٣.

فلا يُقال (هذا حق بعدل، ولكن يُقال هذا عدل، لأن الحقَ أول العدل)[1]. يقول أبو الخَطار حُسام[*] بن ذِرار فى معاتبة المروانيين[2].

أفأنتم بَنى مروان قيسًا دماءنا ... وفى الله إنْ لَمْ تُنْصِفُوا حَكم عدل

ويقول أحمد بن فرج الجيّانى (ت ٣٦٦هـ)[3]:-

فاقض بالفضل للوفاء على الغد ... تكن إنْ حكمتَ أعدلَ قاض

ومن شروط الإمام أنْ يكون عادلاً منصفًا، وعلى هذا المنوال نسج ابن هانئ أشعاره فى معانى العدل فى هالة من القداسة التى يضيفها الرجل إلى القيم الخلقيّة[4].

إمامُ عدل ومن فى كل ناحية ... كما قضوا فى الإمام العدِل واشترطوا

لا يفتدى فرحًا بالمالِ يجمعه ... ولا يبيت بدينا وهو مغتبط

وأحسن ما قيل فى العدل قول محمد بن حسين[5] الطبنى (ت ٣٩٤هـ):-

نَظَر إلا له إلى البّريةِ رَحمةً ... فاختارَ أفضلها لى وتخيّرا

---

(١) مطمح الأنفس، ص ٢٦٥.

(*)كان من أشراف القحطانيين فى الأندلس وفد على الأندلس واليا سنة ١٢٥هـ، وكان شاعرا فارسا.

(٢) تاريخ الأدب الأندلسى من الفتح إلى سقوط الخلافة، ص ٦٣، ط ٧، ١٩٧٩.

(٣) بحث نزهة جعفر حسن، ص ٢١٨، آداب المستنصرية ١٩٨٨.

(٤) انظر: ديوان ابن هانى، ص ٢٠٠، وانظر: عمر الدقاق، ملامح من الشعر الأندلسى، ص ٨٧، وانظر: تاريخ الأدب العربى من الفتح إلى سقوط الخلافة، ص ٢٥٣.

(٥) المقتبس فى اخبار الأندلس، ص ٦٠، ونظيره فى المصدر نفسه، ص ٦٢، وانظر بحث الدكتور منجد مصطفى بهجت، جامعى الموصل (البحر فى شعر الأندلس والمغرب، عصر الطوائف والمرابطين، ص ١٨، الحوليّة ٧ لسنة ١٩٨٦. النفح، جـ ٣ ص ٤٢٤ فى القاضى العادل لابى مروان عبد الملك وانظر شعر يوسف بن هارون، ص ٧٣، وبغية الملتمس فى تاريخ رجال الأندلس، جـ١ ص ٤٠-٤١، تحقيق إبراهيم الإبيارى، وجذوة المقتبس ص ١٤، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجى، ونظيره فى جذوة المقتبس، جـ ١ ص ١٤، تحقيق: إبراهيم الأبيارى.

مَلـكٌ أقـامَ العـدل فـى أيامـه سـوقًا فـصار الحـقّ فـيه متجـرا

لم يجـرِ طـيّب ذكـره فـى مجلـس الاّ حَـسبتَ بـه الهـواءُ تَعطّـرا

وقال ابن درّاج فى سليمان المستعين بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر، والذى أقام العدل فى البلاد ونصر المظلوم فانتشر الخير، وشاع العدل والميزان.

وقـامَ فقامـت للمعـالى معـالم وللخـير أسـواق وللعـدلِ ميـزان[1]

أمَّا الحكم فكان أحسن الناس سيرةً وأجملهم عدلاً[2]. فى ذلك الغرض يقول[3] ابن دراج:-

بـشراك أيـتها الدُّنـيا وبُـشرانا

أحـياك بالعـدلِ مَـنْ بـالأمن أحـيانا

وحفـظ مَـنْ لَـمْ يَـزل بالعـدل يحفظنا

ورَعـىُ مـن لم يـزل بالـبرِّ يـرعانا

وقد أظهر ثعلبة بن[4] سلامة الجذامى فى إمارة الأندلس العدل.

وبعد أن ألقينا نظرة سريعة على هذه النماذج تبين انتشار هذه السجيّة بين صفوفهم وميل طبعهم إلى العدل والعدالة.

---

(١) انظر ديوان ابن درّاج القسطلى، ص ٤٦-٤٧.

(٢) المسعودى، مروج الذهب، المجلد الأول، ص ١٥٦-١٥٧، تحقيق وتعليق الشيخ قاسم الشماعى الرفاعى، دار القلم، بيروت.

وتعليق الشيخ قاسم الشماعى الرفاعى، دار القلم، بيروت.

(٣) الديوان، ص ١٠٧، وانظر: نظيره فى المصدر نفسه، ص ١٣٢.

(٤) انظر: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الخضرمى المغربى، تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، جـ٤ ص ١١٩، طبعة ١٩٧١، والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، جـ٤ ص ١١٩، طبعة ١٩٧١، منشورات مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، بيروت، لبنان.

المـــروءة:ـ

المروءة اسم جامع للمحاسن كلّها وقيل المروءة (أن لا تعمل عملا فى السر تستحى منه فى العلانيّة) [١]، وقد وصف أهل الأندلس زريابا بانه "معلم الناس المروءة"[٢].

والمروءة الجمع بين الدنيا والدين فمن تركها تسبب لسخط الخالق وذم المخلوقين[٣]. وقد كانت لملوكهم ووزرائهم وحجابهم سير جميلة ومروءة طاهرة كابن حُدير الحاجب وعبد الملك بن جهور[٤]. قال يوسف بن هارون الرمّادى[٥] (ت ٤٠٣ هـ):-

مُـروءةٌ فـى الحُـبِّ تَنْهـى بـأنْ نُجاهِـــــرَ الله بعـــــصيان

ولا ننسى المروءة التى هى احَتَّمال زلل الإخوان[٦] ولعل هذا كان طابعهم الخلقى آنذاك.

الفروسيـــة:

كان لشعر الفروسية صولات وجولات ولكثرته جاء على شكل مقطعات أشبه بالأهزوجة فى سوح المنازلة.

ونجد عبد الرحمن الداخل فارسا فيما وصل إليه من سلطان يقول[٧]:-

---

(١) الثعالبى، مرءات المروات، ص ٧، مطبعة الترقى، مصر، ١٨٩٨.

(٢) نفح الطيب، جـ ٢، ص١١٢، وانظر: قصة الأدب الأندلسى، ص ٩٨.

(٣) مردأت المروات: ص ٩.

(٤) انظر اخبار مجموعة، ص ١٣٧-١٣٨.

(٥) شعر الرمادى، ص ١٣١، وانظر نظيره فى المطرب من أشعار أهل المغرب ص ٤، تحقيق: إبراهيم الأبيارى.

(٦) روضة التعريف بالحب الشريف، ص ٦٤.

(٧) النفح، جـ ٢، ص ٧٠.

لايُلـفَ[*] ممـتُن عليـنا مائـلٌ ولـولاى مـا مَلـكَ الأنـام الـداخل

سَـعْدى وحزْمـى والمهـندُ والقـنا ومقـادرُ بَلَغـت وحـالُ حائِـل

ولسعيد[**] بن جودى (ت ٢٨٤هـ) قصيدة مفتخرًا بفروسيته باعثًا تحية خالصة لوالدية الهائمين لذكراه جاعلاً من صولة النسر شرقًا للبطولة والاستشهاد قائلا[1]:-

فقـد علـم الفرسـانُ أنـى كُميـتها وفارسـها المقـدام فـى سـاعةِ الذعـرِ

وإن لم يكـن قـبرُ فأحـسن موطـنًا مـن القـبر للفتـيان موصـلة النـسرِ

ويفتخر الجزيرى أبو مروان بن عبد الملك (ت ٣٩٤ هـ) بفروسيته لطول نجاده وقصر سيفه لعزمه وقوة شكيمته فيقول[2]:-

فـى سـيفه قِـصَرٌ لطـول نِجـادِه وكمـال سـاعدِه وفُـسْحَةِ باعـه

ولابن درّاج[3] مقطعات وأبيات يصف بها الفرسان وعدتهم فى المعارك بحرا وبّرا؛ لذا كان شعره مرآة سجلت قيم الأندلس لفترتين من تاريخ تلك البلاد فى أيام الناصر والمستنصر وهو عهد المنصور، فكان صوتًا مؤثرًا اختلج فى نفوس الفرسان وامتزج بقوة صيحاتهم فى سبيل إعلاء كلمة الحق والشهادة.

(*) يلف ضد النشر، والملفافة ما يلف على الرجل وغيرها و(الالفاف) الأشجار يلتف بعضها. انظر: لسان العرب مادة (لف)، وانظر: نظيره فى الفروسية، اخبار مجموعة، ص ١٢٠، تحقيق: إبراهيم الابيارى، وأخبار مجموعة بدون محقق، ص ١٣٢-١٣٣. والنفح، جـ ١، ص ٣٢٠، الحلة السيراء، جـ١، ص ٤٧، المغرب، جـ١، ص ٤٤.

(**) ورد ذكر سعيد بن جودى فى جذوة المقتبس، جـ١ـ ص ٣٥٦، ترجمة (٤٦٧) ولم يذكر الشعر.

(١) ابن حيان، المقتبس، ص ١٢٤، وانظر: نظيره فى ديوان ابن عبد ربه الأندلس، ص ٤٣، ص ١٢٨، ١٨٨، ١٩١.

(٢) قصيدة لابى مروان الجزيرى، ص ٢٦.

(٣) انظر الديوان، ص ٤.

السمـــاح:-

التسامح والسماح من شيم أهل الأندلس يقول ابن عبد ربه[1]:-

ورأيت فيك من الصَّلاح شمائلاً ومن السّماح دلائلاً وشهودا

ومثله عند ابن هانئ (ت ٣٦٢هـ)[2]:-

وكفاك من حُبِّ السّماحة أنها منه بموضع مُقلّةٍ من مَحْجَرِ

ويقول الحاجب المصحفى فى سماحة الخلق ودمائه[3]:-

ولكنما أخلاقك الغّر نبهت بريعك فى كانون نائمة ألوردِ

وله[4]:-

بنفسى وأهلى طالع خلت أنه بأخلاق معشوق العلى يتخلقُ

ثم يقول[5]:-

سرى الحب فى أخلاقة فَأرقها وعلّمه أحكامه فتعلما

وله أيضًا[6]:-

بالغت فى السَّخط فاصفح صفح مقتدر إن الملوك إذا ما استرحموا رحموا

ويبدو أن المسامحة نبعت من طيبة القلب ورقته، فتخلق بها العاشق والمعشوق والملك والوزير والحاجب والصاحى والمخمور.

---

(١) الديوان، ص ٥٩.

(٢) انظر الديوان، ص ١٠٢، وقد وردت الرواية فى مطمح الأنفس، ص ٣٢٦،

وكفاهُ من حُبكّا السَّماحة أنه منه بموضع مُقلةٍ من مخجرِ.

(٣) ما تبقى من شعر الحاجب المصحفى، ص ١٨٣.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٩١.

(٥) نفسه، ص ١٩٥.

(٦) م ن، ص ١٩٦.

الإحسان:-

تطلق هذه الكلمة على بسط اليد بالبر والمعروف لمن هو فى حاجة إلى ذلك، وأنواع البّر والمعروف كثيرة، منها العفو عند المقدرة، ومنها المساعدة بالجاه والمال، وقد تطلق كلمة الإحسان على التصدق على المساكين.

يقول غربيب الطليطلى (ت ٢٠٧هـ)[١]:-

قُلْ لِمَنْ مثل فى أشعاره ... يذهَبُ المرْء ويبقى مَثَلُ!

نافس المحسن فى إحسانه ... فسيكفيكَ مسيئًا عَمَلُه!

ومثله يقول ابن عبد ربه[٢]:-

أوْسَعنا احسانهُ وَفَضْلُهُ ... وعَزّ أن يكونَ شىءٌ مثلهُ

إنَّ فضيلةَ الإحسان تنشأ عن الرفق وحب الخير للآخرين وهما مظاهر كثيرة، فمن مظاهرها برّ الوالدين وبذل كل وسع فى إرضائهما بما لا يخالف قواعد الدين والأدب، وهذا ما حثّ عليه القرآن الكريم.

ومنها بّر ذوى القربى ومعاونتهم عند الحاجة يقول أبو مروان عبد الملك (ت ٣٩٤هـ) فى ذلك[٣]:-

فجميعهم للبِّر أهلُ والتقُّى ... قَسِ بها وبكلِّ صالحة حرى

ثم اقض حقّ الوالدين وَقُمْ بِمَا ... فَرَضَ الكتابَ عليكَ منه وابدر

وتناصفوا وتقارضوا البَّر الذى ... هو حلّة العارى وكنز المقتر

---

(١) تاريخ الأدب العربى، جـ ٤، ص ٩٢-٩٣، له ترجمة فى بغية الملتمس، جـ ٢، ص ٥٨٠ (١٢٨٥)، والتشبيهات، ص ٣٠٦، ترجمة: ٦٣٩. وانظر المغرب، جـ ٢، ص ٢٣-٢٤.

(٢) الديوان، ص ١٨١.

(٣) قصيدة أبو مروان عبد الملك بن أدريس الجزيرى، ص ٥٨، ٦٧.

والإحسان خير ما تراض به الطباع القاسية وتهذب به النفوس الجامحة وتؤسر به القلوب، فقد أهدى صاعد بن الحسن اللّغوى (٤١٧هـ) سنة (٤١٠هـ) إلى المنصور بن أبى عامر أيلا وكتب معه بهذه الأبيات[١]:-

جَـدْواكَ إنْ تَخْـصُصْ بـه فلأهلِـه ... وتَعُـمَّ بالإحـسان كـلَّ مـؤمَل

وفضيلة الإحسان تتمثل بإنشاء دور العلم ومعاهده التى ينتفع بها الفقراء من أبناء الأمة، وما كثر هذا النوع من الإحسان فى وطن من الأوطان الاّ كان بشير التقدم والرقى والنظام. ومنها العفو عن زلاّت أصحاب المروءات وإقالة عثراتهم والإسراع إلى نجدتهم عندما تحل بهم نكبات الزمان. وقد أنشد أبو بكر عبد الله بن حجاج الأشبيلى لعبادة بن ماء السماء إلى الوزير أبى عمر أحمد بن سعيد يستأذن إحسانه عليه ويسأله الوصول إليه[٢]:-

يـا قمـرا لـيلةَ إكمالـه ... ومغرقـى فـى بَحـر أفـضالِه

عَـبْدُ أياديـك وإحـسانها ... يَـسألكَ المـنَّ بإيـصالِه

فـإنَّ تفـضّلت فكـم نِعمـةٌ ... جُـدْتَ بهـا مُـصلح أحـواله

---

(١) بغية الملتمس، جـ ٢، ص ٤١٧، ترجمة: (١٨٥٤)، والمعجب فى تلخيص أخبار المغرب، ص ٣٦، ٣٧، تحقيق: العريان، وعن وفاة صاعد الأندلس يقول ابن خلكان (ت٤١٧هـ)، وفى انباء الرواة سنة ٤١٩.

(٢) بغية الملتمس، جـ٢، ص ٥١٧-٥١٨، ترجمة (١١٢٦)، انظر: بقية أبيات عبادة بن ماء السماء (ت ٤١٩هـ).